

جيل الستينيات وما بعده

وصف الفصل السابق تطور الرواية العربية والقصة القصيرة من خلال مراحل متداخلة كان فيها عدد من الاتجاهات المميزة التي يمكن تحديدها: رواية تاريخية، اتجاه رومانسي، اتجاه واقعي، ثم بعد ذلك «واقعية اجتماعية»، وهو منهج يصور ظهور حقائق سياسية في الشرق الأوسط في الحقبة اللاحقة للحرب العالمية الثانية. وكما رأينا سابقاً، فإن المنهج الأخير مع كلمته المميزة «التزام» كان ظاهرة قصيرة العمر نسبياً؛ لأنه حتى في نهاية الخمسينيات، بدأ التفاؤل الساذج المبدئي الذي أثارته ثورة الضباط الأحرار في مصر بالخفوت. خيبة الأمل هذه يمكن رؤيتها في سمتين رئيسيتين واضحتين في سلسلة من الروايات التي كتبها نجيب محفوظ بين الأعوام 1961 و1967م، والسمة الأخرى كانت إقبالاً متزايداً على التجريب بالنسبة للشكل البنائي، وهاتان سمتان بالتحديد هما اللتان أعطتا دفعةً رئيساً لكثير من روائيي الجيل الجديد.

وعلى الرغم من أن الشعور بخيبة الأمل الذي يسم معظم كتابات النثر العربي الحديث (والشعر) منذ نهاية الستينيات يُعدُّ في معظم الأحيان نتيجة لهزيمة العرب في حرب الأيام الستة عام 1967م، ولكن بذور هذه الخيبة في الواقع تعود إلى وقت أبكر من ذلك بالتأكيد، وعلى الرغم من أنه لا شك في أن حرب الأيام الستة بلورت مشاعر العرب من العقم السياسي والثقافي خلال هذه الحقبة، لكن معظم النقاد الأدبيين يرجعون الفضل في إصدار أول عمل للاتجاه الجديد إلى عمل ظهر في الواقع عام 1966م، وهو رواية صنع

الله إبراهيم (1937م) القصيرة «تلك الرعية». وعلى كل حال، لم يستمر الحال طويلاً حين بدأ مفكرون معظمهم - وليس جميعهم - مصريون يجتمعون، مدفوعين بحس مشترك بالهدف، لنشر إنتاجهم في مجلة أدبية وثقافية جديدة، «جاليري»⁽¹⁾، وظهرت منها ثمانية أعداد بين الأعوام 1968 و1971م، وكانت المجلة تحرر من قبل، من بين آخرين، إدوارد الخراط (1926 - ...م)، وهو أحد أكثر أبناء جيله الكتاب تجديداً. وهذا الجيل يعرف عموماً باسم «جيل الستينيات»، ويشترك كتابه في عدد من الصفات، وفي الموقف والتجربة، معظمهم كانوا «ملتزمين» سياسياً، ولكن عادة بشكل أكثر صراحة من جيل الشرقاوي الأكثر تفاؤلاً، وإن الصفة الغالبة عليهم كانت الرفض، والخيبة وعدم الثقة بالذات بدلاً من التفاؤل. وكثير منهم، مثل صنع الله إبراهيم، كانوا وما زالوا ماركسيين مجاهرين، وكثير، مرة أخرى مثل صنع الله، سجنوا لآرائهم السياسية. وفي الوقت نفسه، كان يصاحب عدم ثقتهم بالذات، على الأقل في حالة أفضل الكتاب، رغبة قوية في إيجاد اتجاه أدبي جديد لأنفسهم لإعادة تعريف دور الكاتب في المجتمع العربي، ويسمح لهم بالتعبير عن مواقفهم ومشاعر الجيل الجديد. وفي كثير من الحالات احتوت هذه العملية على إعادة اكتشاف جوانب مختلفة من الإرث الأدبي العربي الكلاسيكي، بما في ذلك الأدب الشعبي والفلكلور، الذي بمعونة المعرفة بالأساليب الغربية الحديثة أوجد قاعدة لانفجار ثري في الكتابة الروائية والقصصية المتنوعة عبر العالم العربي. و«الأب» لهذه المجموعة من الكتاب هو إدوارد الخراط، حيث كان إلى حد ما أكبر من معظم الكتاب الذين يطلق عليهم «جيل الستينيات»، ونشر أول مجموعة قصصية له «حيطان عالية» مبكراً عام 1958م، ولكنه لم يشتهر إلا في الستينيات بوصفه كاتب أدب عربي مميزاً. ويمكن وصفه ببعض



المقاييس «مطور متأخر» لروايته الأولى الطويلة «راما والتين»⁽²⁾ التي لم تظهر إلا عام 1979م. والعمل الذي يدور حول العلاقة بين ميكائيل القبطي وراما المسلم، حصل حال ظهوره، وباستحقاق، على الاعتراف به بوصفه علامة مميزة في الكتابة العربية، حتى إنه تقريباً، شبه مرة بعمل بروست Proust. وذلك بسبب التداخل الرشيق للذاكرة والحلم والواقع فيه، ولا نغفل استخدام المؤلف الخفيف للتناسية. وتراوح العلاقة بين ميكائيل وراما (وهي جريئة بحد ذاتها إذا نظرنا إلى المحرمات في العلاقة بين النساء المسلمات والرجال غير المسلمين) بين الصوفية والجنسية التامة، وإن العمل أيضاً يقدم للقارئ صورة حية للحياة المصرية كاملة في حقبة ما بعد الحرب عن وضع نظام الشرطة، وما يشمله رعب التعذيب والسجن والنفي. والأكثر، بغض النظر عن الانطباع المبدئي أحياناً للي اللغة، فإن لغة الخراط في «راما والتين» مثل المستخدمة في أعماله المبكرة واللاحقة غنية ودقيقة، وتكشف عن تمكن من اللغة العربية في جميع قواعدها، ويُعدُّ سابقاً لمعظم معاصريه، وإنه متطلب من القارئ.

واستكمل موضوع «راما والتين» في رواية «الزمن الآخر» (1985م)، نرى ميكائيل وراما يعيدان علاقتهما بعد لقاء مصادفة في مؤتمر، وتعود للظهور كثير من هذه الصور من هذا العمل في روايات الخراط اللاحقة، بما في ذلك روايته شبه السيرة الذاتية «ترابها زعفران» (1985م)، التي تعود لتفتيش ذكريات ميكائيل الصبي في إسكندرية الثلاثينيات والأربعينيات. وأيضاً مدينة الإسكندرية هي موقع الأحداث التي تقع لميكائيل الأكبر قليلاً في «يا نبات إسكندرية» (1990م). أما في «هجرة بوبيلو» (1992م) فإن الأحداث تقع في ريف الدلتا المصرية، حيث نجد سلسلة من بقايا ذكريات المؤلف، ولكن تغير المكان لا يؤثر كثيراً في أهمية موضوعات قديمة تسكن جميع أعمال

خرائط، وبالتحديد تلك التي عن المرأة بوصفها قوة لحياة ليست لها بداية أو نهاية⁽³⁾.

وبغض النظر عن بعض نقاط التشابه بين أعمال الخراط وغيره من الكتاب الذين ظهروا خلال حقبة الستينيات، فإنه يبقى صوتاً فريداً في الأدب المصري الحديث والعربي. الكتاب الآخرون لما يسمى «جيل الستينيات» طور كل واحد منهم أساليبه المفضلة وقوالب التعبير لديه، وعادة تشتمل على المباشرة - وحتى فضاظة - غريبة على عقلية الخراط الرشيقة. ومثال مبكر لما يسمى «أدب السجون» فإن عمل صنع الله إبراهيم «تلك الرعية» المبنية جزئياً على سيرة ذاتية تقدم إحساساً بالانعزال الذي يكون أحياناً طاغياً: يعيش المؤلف الذي خرج من السجن بكفالة وجوداً رتيباً، ويتحرك بقلق من مكان إلى آخر في القاهرة، مسجلاً تفاصيل روتينية وعلاقاته الجنسية المملة في لغة عارية إلا من أقل الأساسيات. وتوجه حركاته في هذه الأثناء سلطات السجن. ويشير الأسلوب والمزاج مباشرة إلى تأثير أوروبي أو على الأقل، مقابل لهما، وتلميح لأحد هذين التأثيرين يظهر في الإشارة إلى كاموس Camus في النص ذاته⁽⁴⁾. وباختصار، عبثية الحياة وانعدام معناها كما تتعكس في كثير من الأعمال الروائية والقصصية الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية تنقل هنا، بتمكن رائع واستمرارية في الأسلوب إلى نظام الاضطهاد بعد الثورة في مصر الناصرية المعاصرة.

حصلت رواية صنع الله إبراهيم «تلك الرعية» على سمعة مثيرة للجدل حال نشرها، ليس فقط لردة الفعل الحامية التي فجرتها في مكتب الرقيب، ولكن أيضاً للجدل الذي أثارته في المؤسسة الأدبية المصرية - على سبيل المثال، علق الكاتب يحيى حقي بأنه وجد أحد المشاهد «مقززاً جداً»⁽⁵⁾. ومنعت



الرواية في مصر، عاد العمل إلى الظهور بعد سنتين في نسخة ألغيت منها جميع الصفحات التي تحوي نقدًا سياسيًا أو مواد جنسية واضحة، وبغض النظر عن ظهور ترجمة إنجليزية Johnson- Davies للنص كاملاً عام 1971م، لكن النسخة العربية لم تظهر كاملة إلا عام 1986م من دار نشر مغربية. ولتاريخ نشر هذا العمل أهمية ليس فقط للتاريخ ذاته، ولكن لأنه أيضاً يبين أنواع الضغوط التي عادة يواجهها الكتاب العرب يومياً، ليس فقط في مصر، ولكن في معظم الشرق الأوسط، حيث الرقابة الرسمية وغير الرسمية السياسية والدينية، في أشكال مختلفة، تجعل من النشر نشاطاً أخطر منه في معظم المجتمعات الغربية⁽⁶⁾.

لم توقف ردة الفعل تجاه «تلك الرعية» صنع الله إبراهيم، وكتب في الأربعين سنة أو نحوها التي أعقبت صدور هذا العمل عدداً من الروايات المختلفة، ومع أنها لم تكن كلها متساوية الجودة من وجهة نظر أدبية، ولكنه استمر في جذب اهتمام الدوائر الفكرية المصرية وما وراءها. «نجمة أغسطس» (1974م) عمل مبني في جزء منه على الأقل على رحلة قام بها المؤلف إلى أعالي مصر في صيف عام 1965م مع كمال الكلاشي ورؤوف مسعد، وهي عمل ساخر عن سد أسوان العالي، الذي أيضاً له أهمية لبنائه الشكلي - الجزء الأول والثالث من الأجزاء الثلاثة التي تشكل العمل الذي كتب على أنه واقع في أسلوب المتحدث الأول، في حين الجزء الثاني (الأقصر) يتكون من جملة واحدة تمتد على صفحات عدة، ويتداخل فيها الحلم والواقع. وأكثر رواياته نجاحاً هي، شبه المؤكد، «اللجنة» (1981م)، وهي تمثل أقوى هجوم على الدكتاتورية في العالم العربي الحديث: تلقى السارد أمراً من «اللجنة» دون اسم ليكتب تفصيلاً عن أكثر شخصية عربية معاصرة بارزة،

ولكن قبل أن يستطيع تسجيل خاتمته يحكم عليه بأن «يأكل نفسه»⁽⁷⁾. وكما في أعمال المؤلف السابقة، تؤدي السخرية دورًا كبيرًا في تصوير وضع المتحدث اليائس ووضعه باستمرار جنبًا إلى جنب مع تأكيد اللجنة بأنه حر.

وبدا كأن صنع الله إبراهيم في روايته اللاحقة يتجنب الشكل الصغير للرواية القصيرة التي استخدمها بنجاح في «تلك الرعية» و«اللجنة»، مفضلًا لوحة أكبر يرسم عليها رؤيته المميزة للعالم الحديث. رواية «بيروت بيروت» (1984م) من وحي الحرب الأهلية اللبنانية 1975 - 1990م نجد السارد مسافرًا إلى بيروت ليجد ناشرًا لكتابه الأخير - وهو همٌّ يشكل مقابلاً للمغامرة الأدبية الثانية التي يعمل عليها، كتابه تعليقًا عن الحرب اللبنانية الأهلية ذاتها. والرواية مهمة بوصفها أحد الأمثلة القليلة للرواية المصرية التي تقع أحداثها في جزء آخر من العالم العربي، وهي صفة تشترك فيها مع الرواية المتأخرة الأكثر تعقيدًا «وردة» (2002م) التي يتحدث موضوعها عن حرب الاستقلال في ظفار في أواخر ستينيات القرن العشرين وبداية سبعينياته، التي تنتقل أحداثها بين القاهرة، وبيروت ومسقط ومدن وصحراء جنوب الجزيرة العربية، وفي مقابل هذه الأعمال التي يكون السارد في معظمها الشخص الأول تقف «ذات» (1992م) و«شرف» (1997م)، بوصفها نقدًا ساخرًا للمجتمع المصري، ويستخدم المؤلف السخرية والاستهزاء لتأثير مدمر: تمثل الرواية المبهمة المسماة «ذات»⁽⁸⁾ هجومًا على تحويل الحياة المصرية إلى حياة استهلاكية بعد إدخال الرئيس السادات سياسة «الباب المفتوح» الاقتصادية في سبعينيات القرن العشرين، في حين تستخدم «شرف» سجن القاهرة رمزًا للمجتمع المصري عمومًا، موفرة مكانًا للمؤلف ليتحدث عن موضوعات الفساد والنفاق والإحباط الجنسي الواضح في



رواياته الأولى، مع تركيز أكثر على التعصب الديني الذي يعكس تحولاً في المجتمع المصري. وكلتا الروايتين ترسمان ذوق المؤلف في التجربة البنائية، مع قوالبهما المقصودة في أساليب السرد⁽⁹⁾. وتتبادل الفصول التسعة عشر في رواية «ذات» (كتب معظمها من وجهة نظر الشخص الثالث «الساقد المطلع») بين فصول متسلسلة عن حياة عائلية عادية في السبعينيات والثمانينيات، وفصول تتعامل مع مصر المعاصرة على مستوى وطني ودولي، في حين تتراوح فصول «شرف» في معظمها بين سرد الشخص الأول والثالث⁽¹⁰⁾. وهناك سمة واضحة في «ذات» بشكل خاص هي استخدام المؤلف الكثير «للتداخل النصي» بوصفه طريقة لتوسيع دائرة السرد من خلال استخدامه المتكرر لمقتطفات من الصحف ووثائق أخرى «خارجية» يدخلها في النص الروائي.

وبالطبع يشارك صنع الله إبراهيم كثيراً من أبناء جيله في ذوقه العام في التجريب البنائي وبعض السمات المعينة في أسلوبه - ليس أقلها استخدامه «للتداخل النصي». وبالتأكيد، ربما يكون الاستخدام المتزايد لإشارات «التداخل النصي» أحد أكثر الصفات وضوحاً لهذا الجيل من الكتاب. على سبيل المثال، روايات يوسف القعيد (1944 - ...م)، وهو معاصر قريب من إبراهيم، يستخدم بتوسع أنواعاً عدة من «التداخل النصي»، وفي الوقت نفسه، يُظهر تطوراً واضحاً في الأسلوب والموضوع في رواية «الحداد» (1969م) التي تتحدث عن الموضوع المحافظ نسبياً عقاب عائلة في الريف المصري، ومن خلال أخبار عزبة المنسي (1971م)⁽¹¹⁾ التي تقع في البيئة نفسها إلى الرواية الأكثر وضوحاً «يحدث في مصر الآن» (1977م) و«حرب في بر مصر» (1978م)⁽¹²⁾، وكلتاهما تتعاملان ضمناً أو علنياً مع سياسة مصر المعاصرة. على سبيل المثال، تتحدث رواية «يحدث في مصر الآن» عن

خلفية أعقاب زيارة الرئيس الأمريكي نيكسون إلى مصر عام 1974م، ويأخذ المؤلف نبرة واضحة ضد الأمريكيان في محاولة لكشف نقاب علاقة الصداقة الجديدة للحكومة المصرية مع الولايات المتحدة. و«الحرب في بر مصر» رواية أنجح، لأسباب عدة ليس أقلها دمج النقد الاجتماعي والسياسي في البنية السردية بشكل أفضل مما سبق، وتدور أحداثها في وقت حرب عام 1973م، حيث نجد أن عمدة القرية يدبر مكيدة سجن في محاولة منه ليجنب ابنه التجنيد الإجباري. وليس غريباً أن يواجه المؤلف صعوبات في نشر الروايتين، وتعذر نشر «يحدث في مصر الآن»، إلا على نفقة المؤلف بعد أن رفضت من دور نشر مصرية عدة، أما «الحرب في بر مصر» فقد نشرت في بيروت. وأكثر أعمال القعيد جرأة حتى الآن هي ثلاثية «شقاوة المصري الفصيح» (1981 - 1985م) وفيها تنتقل أسرة قاهرية من سكن المقابر⁽¹³⁾، الذي كانوا يعيشون فيه إلى ميدان التحرير، حيث يحاولون أن يعرضوا أنفسهم للبيع، والرواية تصف هذه الأحداث، تقع في 19 يونيو 1976م، وعواقبها في نطاق التطورات السياسية لتلك الحقبة، التي انتهت بعودة الرئيس السادات إلى مصر من القدس، حيث يحاول أن يبدأ عملية سلام، وهي حادثة يجدها كثير، إن لم يكن الأغلب، من المفكرين المصريين مثيرة للاشمئزاز، وأحداث الرواية مشجب يعلق عليه المؤلف نقداً قاسياً لسياسات السادات المحلية والأجنبية. وعلى الرغم من أن العمل بلا شك مثير للاهتمام لمنهجه التجريبي وللأسلوب الروائي وأيضاً لتعليقه السياسي، ولكن القارئ لا يستطيع الفكاك من الشعور بأن الكاتب قد أطل قليلاً، وربما قد يكون مهماً أنه على الرغم من أن القعيد استمر في كتابة عدد من الروايات وعدد من المجموعات القصصية، لكنه لم يحاول مرة أخرى كتابة عمل بهذا الوزن⁽¹⁴⁾.



وعلى الرغم من أنه يبدو أن كثيراً من مواقف صنع الله إبراهيم ويوسف القعيد تجاه المجتمع المصري والسياسة المعاصرة تنتشر بين زملائهما الكتاب، لكنه لم يتبنَّ منهجهما الصارم «الواقعية الجديدة»⁽¹⁵⁾ الجميع. على سبيل المثال، فإن أعمال جمال الفيظاني (1945م) التي تشترك مع أعمال صنع الله إبراهيم ويوسف القعيد في الحس القوي بإمكانيات «التداخل النصي» بوصفه أسلوباً سردياً، لكنها أيضاً تمثل وعياً معيناً بإمكانية إعادة اكتشاف تقاليد أدبية من الثقافة العربية بوصفها نقطة انطلاق لسرد معاصر. وعلى الرغم من معرفة الكتاب في مرحلة أبكر من تطور الأدب العربي الحديث بهذا الوعي، لكن إدراك هذه الإمكانية حصل على زخم إضافي من البحث عن أشكال جديدة من التعبير في المحاكاة، وبوصفه ردة فعل للأشكال المتنوعة «للحدثيين» الغربيين (كما لاحظنا ذلك سابقاً، ودافع إضافي في بعض الحالات هو محاولة لتجنب لفت نظر الرقيب من خلال استخدام حقبة تاريخية استعارة للحاضر). مثلاً؛ رواية الفيظاني الأولى «الزيني بركات» (1971م)⁽¹⁶⁾، يقوم الفيظاني فيها باستخدام موسع لمؤلف المؤرخ المصري ابن إياس (1448 - 1524م) «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، حيث يقتبس منه، ويحاكيه بسخرية، إضافة إلى إدخال نصوص «متخيلة» من القرون الوسطى. وتقع أحداث رواية الفيظاني، أحد أفضل إنجازات «جيل الستينيات» المصري، في القاهرة القرن السادس عشر خلال حكم السلطان المملوكي الغوري قبيل الغزو العثماني لمصر عام 1517م، ويكون بطلها الزيني بركات بن موسى، شخصية تاريخية عمل محتسباً في القاهرة منذ عام 1505م، واستمر بعد سقوط المماليك حتى السنوات الأولى من الحكم العثماني. وشخصيته غامضة نوعاً ما، ولكن من الواضح أنه انتهازي ومكافح، ومن ذلك، هوسه المتزمت تقريباً بالإصلاح، وهي استعارة واضحة لجمال عبد الناصر الذي يقارن بقاءه بعد هزيمة العرب في الحرب العربية -

الإسرائيلية عام 1967م ببقاء الزيني بعد هزيمة المماليك عام 1517م. وبغض النظر عن المكان التاريخي فإن الرواية ليست تاريخية بالمعنى المتعارف. وليس لدى الفيطاني أي ندم بالنسبة لإضافة أحداثه المروية وشخصياته التي ليس لها وجود تاريخي - والنتيجة عمل فني رائع، والخط الفاصل بين الواقع التاريخي وخيال المؤلف ضبابي إلى حد عدم التمييز.

يمكن رؤية صدى استخدام الفيطاني نصّ ابن عيسى في «الزيني بركات» لبناء «نصه المتفرع»⁽¹⁷⁾ في أعماله اللاحقة. ففي رواية «وقائع حارة الزعفراني» (1976م)⁽¹⁸⁾ التي مثل «الزيني بركات» تتعامل مع موضوعات القوة والإصلاح، وهذه المرة في أحد أحياء الطبقة العاملة بالقاهرة يستخدم الفيطاني مطولاً التقارير الرسمية ومقاطع من الصحف⁽¹⁹⁾ لسرد أكثر، الذي يشمل كاريكاتيراً عنيفاً، ولكنه منبئ عن الرئيس السادات الذي يزيد إحباطه في الحقبة التي قادت إلى اغتياله في 1981م. ويعود المؤلف في روايته «خطط الفيطاني» (1980م) إلى استخدام التراث التاريخي للقرون الوسطى معارضاً الشكل التقليدي «خطط» لإنشاء «خطط» لمصر المعاصرة. ولا نحتاج إلى خيال واسع في رواية الفيطاني «الأستاذة» لنوازن بين حديثه عن الرئيس عبدالناصر والإشارة إلى التطورات المعاصرة، ويكون أوضح حين يختفي «الأستاذة» ويحل محله «التوخي»، الذي يزداد الفساد تحت سلطته، في حين هو يخوض صراعاً مع الأعداء، وهي إشارة واضحة وغير مباشرة إلى معاهدة الرئيس السادات كما يراها معظم المفكرين المصريين للإسرائيليين، التي تتضح في زيارته إلى القدس عام 1977م، وأكثر أعمال الفيطاني طموحاً حتى الآن هي ثلاثية «كتاب التجليات» (1983 - 1986م)، ويستخدم فيه كتاب ابن عربي (1165 - 1240م) «الفتوحات المكية» مصدرًا للعمل الذي يمزج أشكالاً من إحياء السير



مع عناصر صوفية ونقد سياسي اجتماعي لمصر المعاصرة. واستمر الخط الفكري الصوفي في بعض الأعمال اللاحقة خاصة «شعث المدينة» (1991م) الذي تسيطر عليه أفكار العزلة.

يعرض عبد الحكيم قاسم (1935 - 1990م) رؤية مختلفة نوعاً ما عن الحياة المصرية المعاصرة، الذي تتبع كتاباته - وهي مهمشة إلى حد ما في كثير من النقاشات النقدية الحديثة - من تربيته الفلاحية. على سبيل المثال، على الرغم من أن معظم مواقف قاسم وتجربته في السجن، تعكس مواقف كثير من الكتاب الآخرين من جيله وتجاربهم، ولكن أيضاً تعكس تجربته بوصفه مفكراً من أصل فلاحى يحاول أن يشق طريقه في بيئة اقتصادية واجتماعية مختلفة. وأشهر أعماله، «أيام الإنسان الصعبة» (1968م)⁽²⁰⁾، تدور حول الزيارة السنوية لصومعة السيد البدوي في مدينة طنطا في الدلتا المصرية، ويمكن قراءة الرواية، من ناحية، على أنها تغيير عن موضوع المدينة مقابل القرية، ولكنها أيضاً تعكس فجوة بين الأجيال والصراع بين التقاليد والتحدث الذي يسير مثل خيط ممتد عبر معظم الأدب العربي الحديث، وهي بذلك تقف في خط مباشر منحدر من أعمال أحدثت تغييراً مثل حديث القرية⁽²¹⁾ لمحمود طاهر لاشين. وعلى الرغم من إصدار عبد الحكيم قاسم أعمالاً عدة ممتعة، لكن أياً منها لا يقارن بقوة «أيام الإنسان الصعبة» ورشاقها التي تتبع قوتها من رؤية «الداخلين» للأحداث الموصوفة، بصحبة استخدام متخيل لأداة «اليوم السابع» الذي تمثل فيه كل الأيام مراحل مختلفة من التخطيط وإكمال الزيارة موضوعة في سنة أخرى. ومن بين أعماله الأخرى، «محاولة للخروج» التي نشرت عام 1980م، وعلى الرغم من أنه من الواضح أنها كتبت قبل ذلك التاريخ، وتمثل تغييراً في موضوع أكل الدهر عليه وشرب وهو العلاقة بين مرأة

غربية ورجل شرق أوسطي- ولكنها ليست مثل الروايات السابقة لها، فمكانها القاهرة بدلاً من الغرب، معطية للمؤلف فرصة نقد اجتماعي وسياسي لاذع للمجتمع المصري المعاصر. ورواية قدر الغرف المقبضة (1982) الواضح أنها مستمدة من سيرته الذاتية. وتوثق لتطور بطلها من قرينته المصرية الساذجة عبر المدن المصرية: القاهرة والإسكندرية إلى برلين، ومن خلال وصفه سلسلة الغرف التي سكنها، ويشمل الوصف وصفاً حياً لحياة السجن. وروايته القصيرة «المهدي» (1978م) هي سرد مميز وجريء لإسلام قسري لقبطي فقير يجبره عليه إسلاميون أصوليون⁽²²⁾.

والمساحة هنا تمنعنا من نقاش مفصل عن كثير من الكتاب المصريين الذين اشتهروا في هذه الحقبة، ولكن يجب أن نذكر على الأقل الروائي وكتاب القصة القصيرة بهاء ظاهر (1935 - ...م) الذي يتسم نقده السياسي والاجتماعي - مثل رواية «الخالة صفية» (1991م)⁽²³⁾ - بحس دعابة حيوي، وأيضاً عدد من النساء الكاتبات، ليس فقط لطيفة الزيات، التي سبق ذكرها⁽²⁴⁾، ولكن من ضمن أخريات، أليفة رفعت (1930 - 1995م)، وسلوى بكر (1949 - ...م) ونوال السعداوي (1931م). ومسيرة كثير من هؤلاء الكاتبات لها تقريباً الأهمية نفسها من وجهة النظر السيسيلوجية، كما لها من وجهة النظر الأدبية، على سبيل المثال، أليفة رفعت كانت تكتب قصصاً قصيرة في وقت مبكر من حياتها، ولكنها كانت تنشر تحت اسم مستعار، وتوقفت عن الكتابة سنوات طويلة بسبب معارضة زوجها. في حين نوال السعداوي وهي دكتورة وطبيبة نفسية ممارسة، وربما تكون هي أشهر الكاتبات النسويات المصريات، وبلا شك، استرعت انتباهاً كبيراً بسبب موقفها الجريء من موضوعات المرأة أكثر مما هو لميزاتها الأدبية في أعمالها



المتخيلة والقصصية: وعلى الرغم من أن السعداوي كانت تنشر أعمالاً متخيلة وروائية منذ الخمسينيات، ولكنها لم تحصل على شهرة واسعة بوصفها كاتبة إلا بعد نشرها كتاب «المرأة والجنس» (1972م)، حيث أدى هذا العمل إلى عزلها من منصبها بوصفها مديرة تنفيذية لمصر في التعليم الصحي، وذلك بسبب صراحة الكتاب ومعالجته الواضحة لموضوعات تتعلق بحياة المرأة الجنسية. وسجنت عام 1981م وعام 1993م بعد أن ظهر اسمها على لائحة الموت لجماعة إسلامية أصولية، وأجبرت على منفى ذاتي في الولايات المتحدة الأمريكية سنوات عدة. وهي كاتبة استثنائية، وأعمالها تشتمل ليس فقط على روايات وقصص قصيرة، بل أيضاً على دراسات غير أدبية عن الجنس والنوع، مثل «المرأة والجنس» و«أنا المرأة» (1988م) وعدد من الأعمال المبنية على سيرتها الذاتية، ربما يكون أشهرها «مذكرات في سجن النساء» (1983م)⁽²⁵⁾. ومن ضمن أنجح رواياتها، التي جميعها متعلقة مباشرة أو غير مباشرة باهتماماتها السيسولوجية والنفسية، «امرأة عند نقطة الصفر» (1974م)، و«امراتان في امرأة» (1975م)⁽²⁶⁾.

وكما أوضحت مارقوت بدران وميريام كوك Margot و Miriam Cooke Badran في موسوعتهما الكبيرة⁽²⁷⁾ Opening the Gates، يمكن موازنة النمو السريع في الأدب المكتوب النسائي، وليس بالضرورة طبعاً «نسوي» بالمعنى الجدلي - في معظم، وليس جميع أجزاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خلال الحقبة نفسها. وتمنعنا المساحة من حديث شامل لهذا النوع من الكتابة التي استرعت اهتماماً كبيراً ليس فقط في الشرق الأوسط، ولكن أيضاً خارجه، وهو تركيز، يغري بالقول، الذي في بعض الأحيان يدين بالمقدار نفسه إلى نوع من اللفظة، إلى الحد «الاستشراقي»، بالاهتمام بوضع النساء في وسط الشرق

الأوسط الأبوي التقليدي، مثل أي تقدير معقد لمميزات إنتاجهن الأدبي. وعلى كل حال، أكثر المظاهر المتحدية لهذه الظاهرة هو بلا شك لمجموعة النساء الكاتبات في لبنان خلال الحرب الأهلية (1975 - 1990م) الذي بحثته بتوسع ميريام كوك في كتابها *War's Other Voices* 28. ومجموعة «Beirut Decentrists»، أو «مراكز بيروت»، كما أسمتها ميريام كوك، وهو اسم ليس مناسباً تماماً، هذه المجموعة تضم من بين أخريات حسب إفادة كوك، غادة السمان، وحنان الشيخ، وإميلي نصر الله، ولىلى عسيران، وديزي الأمير، وكثير جبيلي، وإيتيل عدنان⁽²⁹⁾. ومن بين هؤلاء، فإن كثير جبيلي التي تكتب بالفرنسية وإيتيل عدنان التي تكتب بالفرنسية والإنجليزية لا تدخلان في نطاق هذا الكتاب مطلقاً. وعدد من الكاتبات الأخريات جمعن بين الصحافة والكتابة الإبداعية سبيلاً لكسب العيش، يستحقن بعض الاعتبار الفردي المختصر، فعلى الرغم من اشتراكهن في أشياء عدة، لكنهن يختلفن كثيراً فيما بينهن.

ربما تكون أشهر هذه المجموعة التي تكتب بالعربية وأكثرها إنتاجاً هي غادة السمان (1942 - ...م) وهي سورية المولد، ودرست بالجامعة الأمريكية في بيروت ولندن قبل أن تستقر في بيروت عام 1969م، حيث كانت قد بدأت الكتابة ونشر القصص القصيرة والمقالات والشعر نحو عقد من الزمن. ويفسر كتابها «بيروت 75» (1975م)⁽³⁰⁾ على نطاق واسع بأنه تَبَوُّءٌ بالحرب الأهلية. أعقب هذا الكتاب «كوايس بيروت» (1976م) وهو من أقوى أعمالها، كتبه في شهري أكتوبر ونوفمبر 1975م اللذين شهدا بعض أعنف قتال في سنوات الحرب الأولى. وخلال هذه الحقبة فقدت مكتبتها الشخصية، بما في ذلك بعض المخطوطات غير المنشورة، في الحرب. وبغض النظر عن هذه الإحباطات، فإنها لم تغادر بيروت نهائياً إلا عام 1984م مع عائلتها لتستقر في



باريس، ومن هناك استمرت في الكتابة والنشر، موزعة أنشطتها الأدبية بين باريس وبيروت: ومن بين أعمالها المتأخرة نذكر روايتها «ليلة المليون» (1986م) و«الرواية المستهلة» (1997م) التي تسجل زمنياً بلوغ فتاة في دمشق، ومجموعة قصصية من عشر قصص عن «قوى خارقة»، و«القمر المربع» (1994م). وكما قد يفهم من موضوع «الرواية المستهلة»، فإن كتابات غادة السمان، على الرغم من اصطباغها بقوة بأهوال الحرب اللبنانية، لكنها ليست محدودة بها إطلاقاً، وعلى الرغم من أنها ذات اتجاه نسوي، لكنها تتصف بوعيتها ورغبتها في التعبير عن جميع جوانب الاضطهاد، سواء كان في سياق القضية الفلسطينية، أو وضع المرأة في الشرق الأوسط، أو بشكل عام القمع الاجتماعي والسياسي في الشرق الأوسط.

الكاتبة اللبنانية حنان الشيخ (1945 - ...م) بعكس غادة السمان تركت بيروت بعد أشهر عدة من بدء الحرب الأهلية اللبنانية، مدعية أنه من المستحيل بالنسبة إليها أن تبقى في مكان الحوار الوحيد الممكن فيه هو «حديث البكم». وبدأ انعزالها عن ثقافة وطنها، أو على الأقل عن تلك التي تربت عليها، خرجت من بيروت مبكراً حين ذهبت عام 1963م إلى القاهرة لتدرس في الكلية الأمريكية للفتيات، ومنذ ذلك الوقت عاشت في بيروت والسعودية والخليج العربي، وحديثاً في لندن بشكل رئيس. وعلى الرغم من أن روايتها الأولى «انتظار رجل ميت» (1967م) كتبت ونشرت حين كانت في القاهرة، لكنها لم تحظَ باهتمام نقدي جاد، إلا بعد نشرها رواية «حكايات زهرة» (1980م) التي تتعامل مع موضوعات جنسية في سياق الحرب الأهلية ذاتها. ومنع الكتاب في دول عربية عدة؛ لمعالجته الصريحة لموضوعات جنسية. ولاحقاً نشرت مجموعتين قصصيتين وعدداً من المسرحيات



التجريبية، وأيضًا نحو ست روايات. من بين هذه الروايات «مسك الغزال» (1983م) التي تتحدث عن العلاقة بين المغترب والمجتمع المحلي العربي. وتتحدث «بريد بيروت» (1996م) عن العودة إلى ما بعد الحرب اللبنانية، أما رواية «إنها لندن يا عزيزي» (2001م) فهي عن حياة الغربة العربية في العاصمة الغربية. وضمن السكن الطويل لحنان الشيخ في لندن ترجمت كتبها أحيانًا إلى الإنجليزية حالما تصدر تقريبًا، وتتهم أحيانًا بأنها تكتب وعينها على السوق الإنجليزية، كما هي الحال مع السوق العربية - لا أفهم لماذا ينظر إلى ذلك على أنه مدعاة لشجبها، حتى لو كان ذلك صحيحًا⁽²³⁾.

والمساحة هنا لا تسمح إلا بحديث مختصر عن أعمال العضوات الأخريات في Beirut Decentris، وكل واحدة منهن احتفظت بشخصيتها ورؤيتها في أعمالها. وصلت إميلي نصر الله (1983 - ...م) إلى الشهرة بروايتها، التي تحتوي جزئيًا على سيرة ذاتية، «طيور أيلول» (1962م)، وتتعامل الرواية مع موضوع هجرة النساء من قرى لبنان للبحث عن عمل أو للدراسة، وفاز هذا العمل بجوائز أدبية عدة. وكثير من رواياتها وقصصها القصيرة اللاحقة لها علاقة بالحرب الأهلية. رفضت المؤلفة بعناد أن تترك لبنان بغض النظر عن فقدائها كتبها وأوراقها، مثل غادة السمان، وهذا الموقف الدفاعي يتخلل كثيرًا من كتاباتها، وأشهرها روايتها «الإقلاع عكس الزمن» (1981م)⁽³³⁾. وإصرار مماثل على البقاء في لبنان تتسم به ليلي عسيان (1936 - ...م) التي تبين أعمالها العلاقة القوية بين الصراع الفلسطيني والحرب الأهلية اللبنانية الذي لاحظناه عند غادة السمان. وجميع رواياتها سواء قبل الحرب الأهلية أو التي نشرت خلالها ذات علاقة بالقضية الفلسطينية⁽³⁴⁾. على الرغم من أن أعمالها تُظهر فقدانًا تدريجيًا للمثالية، مع زيادة إدراك أن القضية اللبنانية



والفلسطينية قد تتعارضان. ومثل هذا التوتر واضح أيضًا عند الروائي اللبناني رشيد الضعيف في روايته «عزيزي السيد كواباتا» وسنناقشها لاحقًا. أما بالنسبة إلى ديزي الأمير (1935 - 2000م) وهي كاتبة قصة قصيرة أكثر منها روائية، وهي عراقية الأصل فأصدرت مجموعتين قصصيتين عن الحرب اللبنانية الأهلية هما «في دوامة الحب والكراهية» (1979م) «وعود للبيع» (1981م)، وأيضًا مجموعة من وحي الحرب العراقية - الإيرانية (1980 - 1988م)، ويلاحظ أن هذه الحرب مسؤولة عن موت عدد من الناس أكبر من أي صراع في الشرق الأوسط في العصر الحديث، ولكنها لم توح بأي أدب ذي أهمية على الأقل مقارنة بالصراع الإسرائيلي - الفلسطيني.

ربما أكثر صفة واضحة لهذه المجموعة من الكاتبات، اللواتي توحدن تجربة مشتركة أكثر من أي مشهد ديني أو سياسي مشترك، التحدي الذي يمثلته للاعتقاد أن أدب الحرب حكر على الرجال فقط. وهنا موضوع يتكرر طرحه في الأدب، ضمناً أو علناً، وهو السؤال الذي يسكن معظم اللبنانيين الذين ملكوا القدرة على الخروج من لبنان في الخمس عشرة سنة أو نحوها من القتال «تبقى أو لا تبقى؟». ولم يكن هذا السؤال، بأشكال متعددة، خاصًا بالكتاب اللبنانيين في سنوات الحرب اللبنانية، ولكنه معاناة يواجهها المفكر اللبناني في حقب متقطعة منذ الاضطراب الديني في أواسط القرن التاسع عشر، وهو أحد أوجه المعاناة التي أجبر المفكرون في أجزاء مختلفة من العالم العربي على أن يواجهوها حتى اليوم. ومع أن مثل هذه الهجرة سلبية في أساسها، وكما رأينا في مراحل عدة، لكنها كانت إيجابية في تأثيرها، ليس أقلها نمو أدب المهجر وتأثيره في الحركة الرومانسية في الشعر.. وحديثاً، يمكن رؤية تأثير هذه الحركات في نمو مكانة لندن وباريس بوصفهما مركزين للنشاط الفكري العربي والنشر الأدبي.

وإذا كانت الحرب اللبنانية، كما مرت بتجربتها مجموعة «Beirut De-centrists» قد أعطت أوضح مثال على «تراكم» الأدب النسائي في الشرق الأوسط الحديث، فإن تأثير الحرب أيضًا انعكاس على أعمال رواد روائيين معاصرين من لبنان، أشهرهم إلياس خوري (1948 - ...م) ورشيد الضعيف (1945 - ...م). وصفت أعمال هذين الكاتبين على نحو متباين بـ «الحدائثية» أو حتى «ما بعد الحدائثية»، وهي بلا شك تقع على «الحد الفاصل» لأدب النثر العربي المعاصر، وعلى الرغم من أن كل شيء كتبه ليس من الدرجة الأولى، ولكن إنجاز روايتهما في أفضل حالاته يعكس روح وألم لبنان التي أنهكتها الحرب بشكل يرفعها إلى صراع عالمي بدلًا من صراع له أهمية محلية فقط. وينتمي كلا المؤلفين إلى الطائفة المارونية، ولكن كليهما يعرفان، على الأقل بالنسبة لمسيرتهما الكتابية، بموقفهما «اليساري» السياسي. والتجزء على المستوى الاجتماعي والشخصي، عنصر رئيس على الأقل في بعض كتاباتهما. درس إلياس خوري التاريخ وعلم الاجتماع في لبنان وفرنسا، وعرف بارتباطه الوثيق بالقضية الفلسطينية، وعمل نائب رئيس تحرير للمجلة الفلسطينية «شؤون فلسطينية» بين الأعوام (1977 - 1979م). وإضافة إلى سلسلة من الروايات التجريبية التي اشتهر من خلالها، نشر مجموعات قصصية ومقالات يعكس كثير منها موقفه السياسي اليساري ككل. ومن أشهرها ربما يكون «زمن الاحتلال» (1985م) التي تضم عددًا من الافتتاحيات المكتوبة لجريدة بيروت اليومية اليسارية «السفير» خلال الغزو الإسرائيلي عام 1982م. وتضم رواياته الرئيسية «الجبل الصغير» (1977م)، و«الوجوه البيضاء» (1981م)، و«أبواب المدينة» (1981م)، و«رحلة غاندي الصغير» (1989م)، و«مملكة الغرباء» (1993م)، و«مجمع الأسرار» (1994م)، و«حديث يالو» (2002م)، وتشتهر

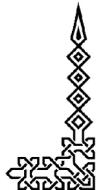


أعمال خوري بصفة رئيسة بـ «حضور المؤلف» أو طبيعة «النص المتخيل»، وأن العمل ليس حقيقياً، وهي إستراتيجية تحاول أن تدخل القارئ شريكاً مبدعاً في صناعة النص التي تجعل المؤلف «حادثياً» بالمعنى الكامل للمصطلح، والتي أيضاً تعكس تجرؤ المجتمع الذي ينتمي إليه.

وأعمال رشيد الضعيف مثل أعمال إلياس خوري تتسم بروح مستمرة من التجربة والبحث عن أساليب جديدة. ويجمع رشيد بين الكتابة الإبداعية والعمل الأكاديمي بوصفه مدرساً للغة والأدب في الجامعة اللبنانية الأمريكية في بيروت. وأول إصدارات منشورة له هما ديوانان من الشعر «حين حل السيف على الصيف» (1979م)، و«لا شيء يفوق الوصف» (1980م)، على الرغم من أن شهرته الحالية بنيت على رواياته الست أو أكثر من ذلك، وليس على شعره. ظهرت أولى رواياته «المستبد» عام 1983م. ودون شك، أقوى رواياته هي «عزيزي السيد كواباتا» (1995م)⁽³⁵⁾، وهي عمل ينتمي بوضوح إلى التقليد العربي الحديث «السيرة الذاتية بوصفها عملاً متخيلاً»، ولكنها هنا تتخذ الشكل الأسمى لرسالة موجهة إلى الكاتب الياباني ياسونري كواباتا الذي انتحر عام 1972م وهو حدث له تلميحات عدة في أماكن عدة من الرواية. والحقبة التي يعطيها العمل لا تشمل فقط حقبة الحرب التي جرح فيها المؤلف، وأوشك أن يموت، ولكن أيضاً طفولة السارد في أواخر الأربعينيات والخمسينيات ومراهقته وأيام دراسته خلال حقبة الاضطراب في الستينيات والسبعينيات قبل انفجار الحرب اللبنانية الأهلية عام 1975م. على أحد المستويات هو نص كلاسيكي لصحوة مثالية لرجل شاب، يتحرك عبر مراحل متتابعة من حياة المؤلف، ويصف - غالباً في مصطلحات رشيقة - تعليمه

الفكري والجنسي والسياسي⁽³⁶⁾. وينتهي حديث السارد في حالة خيبة أمل مع انهيار الاتحاد السوفيتي التي تصور مرة بوصفها تجسيداً مثالياً للحزب الشيوعي الذي كان ينتمي إليه في الماضي. وعلى كل حال، العمل ممتع على الأقل بالنسبة إلى البنية السردية، التي تعتمد على استخدام المفارقة التاريخية المتكلفة والمعقدة، تمزق زمني يصور حالة السارد العقلية المضطربة، ومن ثمَّ يردد الفوضى والاضطراب الذي هو السمة الغالبة على لبنان خلال الحرب الأهلية. ولغز آخر هو العلاقة المحدودة بين المؤلف والسارد موضوع القصة، فجميعهم يدعون رشيد، ولكن أيهما الذي يهيم الضعيف، على الأقل بشكل متقطع، ليميزه من الآخر.

والقليل إن وجد، من روايات الضعيف اللاحقة يمكن أن تقارن بقوة وإحساس «عزيزي السيد كواباتا»، وتشمل هذه الروايات «فسحة مستهدفة بين النعاس والنوم» (1986م)⁽³⁷⁾، و«تقنيات البؤس» (1989م) و«ناحية البراءة» (1997م)⁽³⁸⁾ و«تعلم الإنجليزية» (2001م) و«تصطفل ميرل ستريب» (2001م)، ومن وجهة نظري، فإن بعض الصفحات في «تصطفل ميرل ستريب» طريق سهل لاتهام الرواية «بسوء الذوق». ومن بين الروايات الأخرى وربما أهمها «تعلم الإنجليزية» (وهي رواية أخرى مع عناصر سيرة ذاتية قوية) تصور إحباط المؤلف تجاه ضعفه في الإنجليزية مقارنة بالفرنسية، ويمكن أيضاً النظر إليها على أنها إنتاج، على الرغم من أنه غير مباشر، من «أدب العولمة»، في حين أهمية «تقنيات الباص» تأتي من صلتها (ويحتمل أنه غير مقصود) مع أعمال بعض الكتاب المصريين «جيل الستينيات» ليس أقلها تركيزها على تفاصيل الحياة اليومية.



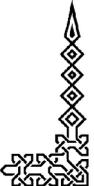


ومن بين المؤلفين الفلسطينيين لهذه الحقبة أعمال غسان كنفاني وجبرا إبراهيم جبرا، ولكن قليلين الذين خلفوهما مباشرة، وبغض النظر عن جهود عدد من الكتاب ذوي الأهلية مثل يحيى يخلف (1944 - ...م) وآخرين، ولكن المساهمة الفلسطينية في الاتجاه «الحدائي» لم تكن متميزة على وجه العموم. واستثناء مهم لهذا الحكم العام نراه في إميل حبيب، وأعماله مهمة ليس فقط لقيمتها هي بحد ذاتها، ولكن أيضاً في واقع أن الكاتب «إسرائيلي عربي»، ذلك جعل من كتاباته موضوعاً لجدل كبير. والعلاقة الغامضة بين الفلسطينيين العرب والحكومة الإسرائيلية توضحها أوضاع صورة حين فاز حبيب عام 1972م بجائزة إسرائيل للآداب، وهي معاناة حلها الكاتب بقبول الجائزة والتبرع بقيمتها لأعمال الخير الفلسطينية. وفي هذه الناحية من المهم أن نلاحظ أن حبيب مثل كثير من الكتاب العرب الذين يعيشون في إسرائيل متمكن من العربية والعبرية، وبعكس أنطوان شماس الذي كتب روايته Arabeskot⁽³⁹⁾ ونشرها بالعبرية عامداً، ولكن حبيب اختار أن يكتب أعماله الروائية بالعربية.

وإميل حبيب (1921م-1996م) مثل زميليه اللبنانيين إلياس خوري ورشيد الضعيف، كان ارتباطه وثيقاً خلال حياته مع العرب «اليسار»؛ كونه عضواً مؤسساً لحزب اليسار الإسرائيلي الذي يمثله حبيب في الكنيست الإسرائيلي عدداً من السنوات. وشهرة حبيب، جمعت بين النشاط السياسي والأدب الإبداعي مع العمل صحافياً ومذيعاً، حين نشر مجموعة قصصية من ست قصص بعنوان «سداسيات الأيام الستة .. رواية من الأرض المحتلة» (1968م)، وهي من وحي اجتماع فلسطينيي الضفة الغربية وفلسطينيي إسرائيل بعد احتلال إسرائيل الضفة الغربية بعد حرب الأيام الستة عام

1967م. وسوف تستمر شهرته الباقية بلا شك معتمدة على روايته «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل» (1974م)⁽⁴⁰⁾، وهي تحتل مكاناً فريداً في تاريخ الأدب العربي الحديث. ويوصف دائماً هذا العمل بأنه من «أدب التشرد» (الصعاليك)، ويرسم وضع العرب القلق الذين يعيشون بوصفهم مواطنين إسرائيليين، ويتسم هذا العمل بحس حيوي وسخرية واضحة حتى في عنوان العمل «المتشائل»، فهو مزج لكلمتي «المتشائم والمتفائل» بطل العمل (أو وهو الأصح بطل مضاد) سعيد يعمل أولاً مخبراً للإسرائيليين، ولكنه يرفض هذا الدور بعد أن وضعه أسياده في السجن وضربوه، لكنه يفشل في إيجاد دور بديل، وفي نهاية العمل ينتقل إلى فضاء خارجي عن طريق كائن فضائي، وهي نهاية ساخرة تخبرنا بأن جميع القصة كانت محتوى رسالة مرسله من أحد نزلاء مستشفى مجانيين الذي اختفى الآن. وحبكة العمل تعطي إشارة ضئيلة إلى طبيعته وجاذبيته التي تعتمد على تداخل خفيف بين مرح الواقع وتجهمه، أو ثراء وتعقيد بنائه الذي تتوالى بسرعة فصوله القصيرة، وتدين بكثير لشكل المقامة العربية التقليدي⁽⁴¹⁾ الذي أيضاً يأخذ من التاريخ العربي وأدب الفولكلور والمراجع الجغرافية ليؤكد خسارة الفلسطينيين وطنهم. والرمز والسخرية واضحتان في اختيار المؤلف الأسماء ليس فقط «لبطله» سعيد، ولكن أيضاً في أسماء أخته يعود وزوجته بقية التي ترمز للعودة والبقاء، وإن هذه الأسماء عناوين للأجزاء الثلاثة التي تتكون منها الرواية.

على الرغم من أن جميع روايات حبيبي ممتعة، ولكن أعماله المتأخرة لا تجاري قوة رواية «الوقائع الغريبة...» وخفتها، التي قورنت بجدارة ليس فقط مع Candide لفولتير Voltaire، ولكن أيضاً مع رواية The Good Soldier Svejk لجارسلاف هاسك⁽⁴²⁾ Jaroslav Hasek. وحتى مسرحيته «لوقا بن





لوقا» (1980م)، وهي محاولة لمسرحة الصراع العربي الإسرائيلي باستخدام أسلوب أدبي مختلف، وروايته اللاحقة «إقطاعي» (1986م)، وهي احتفاء بالثقافة الفلسطينية التقليدية، لم يحصل أي منهما على مكانة رواية «الوقائع الغريبة...» بوصفها عملاً مبتكراً في تراث السرد العربي الحديث. وربما يكون من المهم أنه في نهاية «حياة حبيبي» أظهر اهتماماً باستخدام الفلكلور الفلسطيني والأساليب التقليدية في حكاية القصة، أشهرها في «خرافية: سرايا، بنت الغول» (1991م) التي تقرأ على أنها محاولة للتحقق من الماضي عبر... الكتابة⁽⁴³⁾.

هناك جوانب معينة في أسلوب «حبيبي» نجد لها صدى في أعمال عدد من الكتاب البارزين الآخرين، منهم الكاتب الأردني رمضان الرواشدة في روايته «الحمراوي» (1992م)، ورواية الكاتب السوري الكردي سليم بركات (1951 - ...م) المبنية على سيرته الذاتية «الجندب الحديدي» (1980م).

وتستحق أعمال سليم بركات حديثاً أكثر حول هذه النقطة لسببين: أولاً، لأنه كردي سوري المولد، ولد في قامشلي وخبر العيش بوصفه أقلية عرقية تحت السيطرة العربية، وهذا يستدعي إلى الذاكرة اضطهاد الإسرائيليين للعرب بغض النظر عن الفرق الواضح بين الحالتين، إضافة إلى أنه متجاهل ظلمًا في كثير من الدراسات المتخصصة بغض النظر عن أنه وصف كالاتي «ربما هوفنان كتابة النثر الأسلوبية في اللغة العربية اليوم»⁽⁴⁴⁾، وقد يكون سبب هذا التجاهل، جزئياً، صعوبة اللغة التي يستخدمها. وعلى كل حال، أول عمل رئيس لبركات هو «الجندب الحديدي»، الذي يكمل تقليدًا طويلًا في الأدب العربي الحديث في فن السيرة الذاتية بوصفها أدبًا متخيلاً، وهو تقليد، كما لاحظنا، بدأ مبكرًا منذ عام 1848م مع نشر كتاب فارس الشدياق «الساق على

الساق»، وربما يكون قد أنتج أفضل مثال له في عشرينيات القرن العشرين في رواية طه حسين «الأيام»⁽⁴⁵⁾. ونشر كتابًا ثانيًا عن سيرته الذاتية يصف فيه مراهقته، وذلك عام 1982م «هاته عاليًا، هات النّفير على آخره»، وأعيد نشر الكتابين تحت عنوان «السيرتان» عام 1997م. وبعكس هذين الكتابين من السيرة الذاتية الأدبية عمل بركات الرئيس الثاني «فقهاء الظلام»، فهو رواية بالمعنى الكامل للكلمة، وتدور أحداثها في المنطقة التي تربي فيها المؤلف، وهي قرية كردية صغيرة بالقرب من الحدود السورية - التركية، ويصف العمل الأحداث المعجزة التي أعقبت مولد طفل للملا بناف، وهي أحداث تنتهي بمجيء وقت حكماء الظلام. ويمتلئ العمل بالغموض، ويشير بعناصره المجسمة الكثيرة إحساسًا قويًا بالانتماء إلى الأرض التي تستدعي أحيانًا إلى الذاكرة بعض أعمال الكاتب السوداني الطيب صالح. وهدف العمل الواضح على الأقل في جزء منه سياسي؛ للتعبير عن الهوية الكردية التي حطمتها القومية العربية. منذ ذلك الوقت وبركات ينشر، وهو كاتب غزير الإنتاج، نشر الشعر والنثر، وعددًا من الأعمال الرئيسية الجديدة أحدها «أرواح هندسية» (1987م)، وحسب تعبيره، هو محاولة لإعطاء شكل لجو الجنون الذي أفرزته الحرب اللبنانية⁽⁴⁶⁾، وهو تذكير بالمدى الذي تحدى فيه هذا الصراع ضمير كثير من المفكرين في المنطقة حتى خارج لبنان.

لم تكن الظروف السياسية في العراق خلال الحقبة موضوع الدراسة في صالح تطور الأدب المعاصر. والكاتب العراقي فؤاد الطغرلي (1927 - 1990م)، الذي ذكرنا اسمه سابقًا عند الحديث عن كتابه «الوجه الآخر» (1960م ونسخة أكبر 1982م) لم يعد يعيش في العراق منذ عام 1979م على الرغم من أنه استمر في نشر روايات ذات أهمية. ورواية «الرجل البعيد»





(1980م)⁽⁴⁷⁾ لها أهمية خاصة في إعطاء منظر شامل للمجتمع العراقي في الحقبة اللاحقة مباشرة لسقوط نظام عبد الكريم قاسم (1962 - 1963م). وتركز بشكل عام على منزل قديم في باب الشيخة ببغداد، حيث تربى المؤلف، ويستخدم العمل بنية متعددة الأصوات؛ لكي يبني صورة معقدة للمجتمع البغدادي من خلال أعين أفراد مختلفين من العائلة. والقارئ، كما في رواية «الوجه الآخر» والكتابات الأخرى للطفرلي، واعٍ لثقل التقاليد والتأثير المضحك للعادات الاجتماعية.

قيل القليل حتى الآن عن أدب النثر الحديث في شبه الجزيرة العربية، وهي منطقة تبدو مهمشة لطلاب الأدب العربي الحديث. وعلى الرغم من حقيقة أن شبه الجزيرة العربية لم تكن في مقدمة أي حركة أدبية عظيمة، لكن نظرة سريعة على موسوعة سلمى خضراء الجيوسي «أدب الجزيرة العربية الحديث»⁽⁴⁸⁾ كافية لإقناع أكثر القراء شكاً في أن أغلب أقوى وأنشط الكتابات المختلفة كانت ومازالت هناك في السعودية والدول الأخرى المجاورة لشبه الجزيرة العربية. ويبدو ازدهار كتابة القصة القصيرة بشكل خاص في تلك المنطقة. على سبيل المثال، في الكويت (تصحيح من المترجمة، الإمارات) تحمل قصص محمد المر، إذا أسمينا كاتباً واحداً فقط، حيوية وقوة خاصة بها، في حين استحقت الروايات والقصص القصيرة وشعر الكاتبة الكويتية ليلي العثمان شهرة واسعة، ليس فقط لمزاياها الأدبية، ولكن أيضاً للشجاعة التي أظهرتها الكاتبة في وجه الرقابة والاعتقال⁽⁴⁹⁾.

وهناك روائيان سعوديان يستحقان اهتماماً خاصاً لأسباب مختلفة، وهما عبدالرحمن المنيف (1933 - 2004م) وتركي الحمد (1935 - ...م). وأشهرهما بحق هو عبدالرحمن المنيف الذي ولد في الأردن من أب سعودي،

ودرس في بغداد والقاهرة، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة «بلجراد»
بيوغسلافيا قبل أن يبدأ عمله في صناعة الزيت، ويعمل بشكل رئيس في سوريا
والعراق. ومن بين جميع الكتاب العرب المعاصرين ربما يكون هو الأقرب
لتعليق الوصف «مواطن العالم العربي»، وعلى الرغم من أنه ولد سعودي
الجنسية، ولكن الجنسية أسقطت منه؛ لنقده السياسي للنظام السعودي،
وأمضى معظم حياته خارج السعودية.

على الرغم من أنه بدأ بنشر كتاباته الروائية عام 1973م، لكنه لم
يحصل على شهرته بوصفه روائياً عربياً بارزاً إلا في أواخر السبعينيات
وبأعمال مثل «النهايات» (1978م)، وتدور أحداثها في قرية على أطراف
الصحراء. و«سباق المسافات الطويلة .. رحلة إلى الشرق» (1979م) عن
إيران في حقبة حكم مصدق. وجدت صفتان توءمتان هما التعلق بالتاريخ
والإحساس الطبيعي تجاه حياة الصحراء، اللتان يشكلان تناقضاً مع التوجه
الحضري لمعظم الروائيين العرب البارزين تعبيراً في الخماسية المدهشة
«مدن الملح» (1984 - 1989م) التي كتبت في الأصل بوصفها ثلاثية، وترسم
التغيير المصطنع في مجتمع الصحراء عبر اكتشاف البترول. وتبدأ بوصول
الأمريكان إلى قرية في وادي العيون، وهي بوضوح وفي الأغلب «رواية تاريخية»
على مستوى كبير، ويجب ألا يعمينا ذلك عن حقيقة أن المنيف على الرغم من
محافظته ببعض المقاييس، ولكن أسلوبه السردي ليس خالياً من الجوانب
التجريبية⁽⁵⁰⁾. وعلى مستوى آخر، صمم هذا العمل بوضوح لتحدي ليس فقط
«النسخة السعودية الرسمية لتأسيس المملكة العربية السعودية»⁽⁵¹⁾، ولكن
أيضاً النظرة الاستعمارية الغربية للتاريخ.





ربما نذكر بشكل خاص من أعمال المنيف المتأخرة «سيرة مدينة عمان في الأربعينيات» (1994م)، وهي عن المدينة التي تربي فيها، و«أرض السواد»، التي تعكس بيئة وسط العراق في القرن التاسع عشر. وربما يكون متوقعًا حين نضع بجانب رائعته المهمة «مدن الملح» الأعمال الأخرى للمنيف أن تنزوي هذه الأعمال، وتقل قيمتها، ولكن قد تكون إشارة إلى جودته بوصفه كاتبًا أن الوضع ليس كذلك، فتوعية كتاباته وكثرة إنتاجه مدهشة بحق إذا أخذنا في الحسبان أن الكتابة الإبداعية لديه مثله في ذلك مثل كثير من الكتاب العرب، لا تزيد كثيرًا على كونها هواية، وتشتته تقريبًا عن عمله الأصلي.

والكاتب السعودي الثاني هو تركي الحمد، ويشتهر مثل المنيف بجراحة الطرح. وعلى الرغم من أنه لا يقارن بالمنيف بأي مقياس بالنسبة إلى الإنجاز الأدبي، لكن حالة الحمد مثيرة للاهتمام، وهي توضح كيف أن الميزة الأدبية ونجاح النشر لا يرتبطان مع بعضهما بأي شكل. والحمد محلل سياسي وأكاديمي، درس بالجامعة الأمريكية في بيروت، واتجه إلى الكتابة الروائية متأخرًا نوعًا ما، وظهر روائيًا في أواخر التسعينيات مع الثلاثية المعنونة بـ «أطياف الأزقة المهجورة». وعنوانا الجزأين الأولين من الثلاثية هما «العدامة والشمسي» (أسماء أحياء في الدمام والرياض على التوالي)⁽⁵²⁾، وهي تصف تعليم الحمد وبلوغه. وهو بلوغ يتسم بالكحول والجنس المحرم والنشاط السياسي المحظور، ومن هناك يأتي الجزء الثالث «الكراديب»، وهو سجن سياسي خارج مدينة جدة، ويبدو حتميًا تقريبًا. وصف أسلوب العمل بصفات مختلفة مثل: «طنان» و«ضعيف» و«قديم»، ولكن العمل أثار عاصفة من الاعتراض على النشر، ومنع سريعًا ليس فقط في المملكة العربية السعودية، ولكن أيضًا في الكويت والبحرين. وتلقى الكاتب تهديدات عدة بالقتل، وصدرت فتوى ضده، واعتمدت في معظمها على الجزء الثالث، حيث



يفكر السجين هشام في أن الله والشيطان قد تبادلوا المواقع. وهدف الحمد من كتابة العمل كان مثيراً للحنق، «هناك ثلاثة محرمات، حيث أعيش الدين والسياسة والجنس، وممنوع الحديث عنها، وقد كتبت هذه الثلاثية لتحرك الأمم»⁽⁵³⁾، ومن غير المحتمل أن تبقى أعمال الحمد طويلاً بوصفها رائعة أدبية، ولكن الحادثة تخدم للتذكير، إذا كانت هناك حاجة إلى ذلك، إن حرية التعبير التي تُعدُّ حقاً طبيعياً في المجتمعات الغربية ببساطة لا توجد في الشرق الأوسط.

هذه الحقبة مهمة في شمال إفريقيا، ليس فقط للاستمرار الحيوي لأسلوب الكتابة الروائية باللغة العربية، الذي ظهر هناك متأخراً نسبياً، ولكن أيضاً لظهور كاتب ليبي أول مرة ذي مكانة عالمية متفردة، وهو إبراهيم الكوني (1948م). وعلى الرغم من أنه كانت هناك محاولات سابقة في ليبيا للكتابة المتخيلة وعلى الأقل هناك كاتب واحد هو أحمد الفقيه (1942 - ...م)، قد كتب ثلاثية لافتة بعنوان «حدائق الليل»⁽⁵⁴⁾، ولكن الكتابة المتخيلة، وبالتأكيد الأدب الحديث عمومًا، كان في ليبيا أبطأ في النضج منه في بقية دول شمال إفريقيا. ونجد في الكوني كاتباً قادرًا، ليس فقط على أخذ مكانته بين معاصريه من البلاد العربية الأخرى، ولكن أيضاً نواجه بعمل جوهري مميز في جملته، عاكسًا الإرث الخاص ومشهد منطقتة بشكل لم يسبقه إليه أي كاتب من قبل، ومثل أعمال المنيف، فإن أعماله تثير شعورًا بالقرابة مع الصحراء التي هي غريبة عن معظم الكتاب البارزين في مصر والشام، إضافة إلى أن أعماله تتسم بسمات ثقافية خاصة، والمشهد الغامض لقبائل شمال إفريقيا التي نجح في دمجها في شكل الرواية الحديثة والقصة القصيرة بشكل رائع. ويؤرخ لأول إصدارات إبراهيم الكوني من 1974م حين نشر «الصلاة خارج





نطاق الأوقات الخمسة»، ولكن أكثر أعماله شهرة لم تظهر إلا في التسعينيات مع رواية «التبر» (1990م) و«نزيف الهجر» (1990م)، ومنذ ذلك الحين، وهو ينشر أعمالاً جديدة بسرعة مذهلة، خاصة عمله الأضخم «المجوس» (1991م) الذي صدر في جزأين، وبدأ في إرساء شهرة ليست فقط في العالم العربي، ولكن أيضاً من خلال الترجمة في أوروبا، حيث عاش سنوات عدة.

وفي بلاد المغرب الأخرى، استمرت الحيوية التي اتسم بها النمو السريع للأدب المتخيل الروائي العربي في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات في السرعة، على الرغم من أنه في الجزائر والمغرب، على الأقل، استمر الشعور بميراث ما أسماه روجر ألن «التأثير الخفي للثقافة الفرنسية»، وذلك في الانقسام بين كتاب الفرانكفونية وكتاب العربية. وحصلت الكتابة الروائية والقصصية في تونس على دعم في بداية الستينيات مع ازدياد شعبية عدد من المجلات الأدبية، ومنها مجلة «قصص» ومجلة «الفكر». ويبدو أنها وصلت إلى درجة عالية من الإقبال منذ أواخر الستينيات وما بعدها، حين نشر عز الدين المدني (1938 - 1938م) الذي اشتهر بوصفه كاتباً مسرحياً مبتكراً، ويُنظر إليه تقريباً عالمياً على أنه أب للحركة الطليعية المعاصرة في تونس⁽⁵⁵⁾. رواية غير مكتملة هي «الإنسان الصفر»، (1968 - 1971م) التي ليس مستغرباً إثارتها استياء السلطات الدينية لمحاولتها تقليد أسلوب لغة القرآن الكريم. وبالأهمية ذاتها، ولو أنها مقرونة بشكل أقل روايته «العدوان» (1969م)⁽⁵⁶⁾ التي تتحدث عن شاب تونسي يقضي حكماً بالسجن؛ لاغتصابه سائحة سويدية؛ ومع أن موضوع العلاقة بين الرجل العربي والمرأة الغربية موضوع شائع في الأدب العربي الحديث منذ القرن التاسع عشر، فإن السيناريو المتخيل هنا مع الشخصية التونسية في دور الشخص السيئ يعطي الموضوع اختلافاً جديداً وإلى حد ما غير تقليدي.



من بين الروائيين وكتاب القصة القصيرة التونسية الذين برزوا في تلك الحقبة، يجب أن نذكر مصطفى الفريسي (1931 - ...م) الذي تستكشف روايته «المنعرج» (1966م) بعض الالتباسات والتوتر بين الجيل التونسي الذي حصل على الاستقلال، ومحمد صالح الجابري (1940م) الذي تتحدث روايته «يوم من أيام زمرا» (1968م) عن استكشاف الأوروبيين للتونسيين، وتأكدت شهرة الجابري أكثر مع إصدار «ليلة السنوات العشر» (1982م) التي تجوس في أفكار اجتماعية من الاضطهاد والاستغلال في سياق الإجراءات السياسية في⁽²⁰⁾ يناير 1978م. وليس بمستغرب، مثل روايات البشير خريف من قبل، استمرار انشغال كثير من أعمال كتاب هذه الحقبة بطرق مختلفة بإرث حقبة الاحتلال الفرنسي. والبطلة الرمزية في رواية «حليمة» (1967م) لمحمد العروسي المتاوي، على سبيل المثال، غارقة إلى أذنيها في إطلاق ناري للمقاومة التونسية، والعمل ثري في تقديمه «بوصفه عملاً متكاملًا» ينتهي بعودة «المحارب الأقوى للحرية»؟ والمحجوب؟ «بورقبية» إلى وطنه⁽⁵⁷⁾، ويطلع بما يمكن أن يُعدُّ رمزية قومية بسيطة⁽⁵⁸⁾، على الرغم من أن هذا الأسلوب قلده كثير من الكتاب الآخرين. ورواية المتاوي اللاحقة «التوت المر» (1989م) معالجة أقل سذاجة للموضوع، دامجة موضوع الوطنية مع قصة حب رومانسية كما فعل سابقًا خريف في «برقع الليل». وأسلوب مشابه استخدمه عبد الرحمن عمار بوضوح في روايته «حب وثورة» (1969م). وأكثر هذا النوع من الروايات جرأة هي بلا شك «أرجوان» لمحمد مختار جنات، وهو عمل يمتد على ثلاثة أجزاء بعنوان «طريق الرشيد» (1970م)، و«العودة» (1970م)، و«خيوط الشك» (1972م) على التوالي. وأنشأ أسلوبه في محاولة دمج موضوعات وطنية مع الاهتمامات الإنسانية والرومانسية للعائلات التونسية العادية تعبيرات



مفاجئة لاتجاه السرد، وأما بالنسبة إلى وصف الحركة الوطنية ذاتها فإن أجزاء الروايات تفاجئ القارئ بأنها تقليدية.

ومن المدهش أن كثيراً من الروايات المتعلقة بالصراع النهائي الناجح ضد الفرنسيين ظهرت في تونس في السنوات المباشرة التي أعقبت هزيمة العرب في حرب الأيام الستة مع إسرائيل، وهذا يغري بأن نشير إلى ذلك الجزء من الجاذبية لمثل هذا السرد التاريخي المتمركز حول صراع «ناجح»، يكمن تحديداً في تقديم ترياق لتطورات غير سارة في العالم الحقيقي. وأياً كانت الحال، فإن الكتاب المعاصرين - وكما هو متوقع - كانوا أقل انشغالاً بإرث حقبة الاستعمار الفرنسي. ورواية محمد رضا الكايفي «خيطة أريان» (1987م) مثلاً تعود بنا إلى الموضوع القديم المعروف للعلاقة بين الجنسين عبر ثقافتين، ولكن تبدو تجربة الاستعمار الفرنسية غير ذات صلة تقريباً بالسرد. وبهذا الشأن، فإن العمل ربما يمثل إشعاراً لإعادة الرواية التونسية إلى داخل المسار الرئيس للتقليد الروائي العربي، ومثال لمواقف الجيل التونسي الجديد من الكتاب الذي على الرغم من انشغاله بقضايا الهوية في محيط المجتمع المعاصر، لكنه منفتح أكثر على التأثيرات الخارجية وأقل ميلاً إلى رؤية الصراع الفرنسي - التونسي بوصفه نقطة مهمة أو وحيدة لكتاباتهم. وحديثاً، بروز الأصولية الإسلامية في البلاد، أصبح عاملاً مهماً في التأثير على التطور الاجتماعي للبلاد، الذي في وجوده يصبح من الصعب التنبؤ بإمكانية تطور حيوي للأدب المتخيل.

إذا كان الصراع ضد الاستعمار الفرنسي يشكل فكرة رئيسة في أعمال كثير من الكتاب التونسيين، فليس مفاجئاً أن ينعكس مباشرة الصراع

الدموي للوصول إلى الاستقلال الجزائري على أعمال البارزين في تلك الحقبة. وعلى الرغم من أن عددًا كبيرًا من المجموعات القصصية باللغة العربية صدرت في العقود اللاحقة، لكنه لا يمكن الحديث عن أي تقليد روائي عربي مهم في الجزائر قبل أن تحصل على استقلالها من فرنسا عام 1962م. بالتأكيد هناك شك فيما إذا كان هناك تقليد، وحتى الآن بالنظر إلى مشكلات النشر والتوزيع والافتقار إلى قراءة محلية ثابتة. كل ذلك إضافة إلى المشكلات السياسية الحالية ذات الصلة بالأصوليين الإسلاميين. وعلى كل حال، حصل بعض الكتاب الجزائريين الموهوبين على بعض الشهرة، أهمهم بلا شك الطاهر الوطار (1936 - م...) وعبد الحميد بن هدوقة (1929 - م...) وراشد بوجردا (1941 - م...).

وعلى الرغم من أن الأول في الظهور هو الطاهر وطار، وبدأ بنشر القصص القصيرة في تونس منذ عام 1955م، لكنه لم يشتهر بوصفه روائيًا حتى السبعينيات مع روايته «اللان» (1974م) و«الزلزال» (1974م)، و«عرس البغل» (1978م). وهناك جدل حول رواية عبد الرحمن بن هدوقة الأولى «رياح الجنوب» التي نشرت عام 1971م، وأنها هي التي تعلم لظهور الرواية الجزائرية الناجحة المكتوبة بالعربية، وليس أعمال وطار. ونشر ابن هدوقة لاحقًا أربع روايات ومجموعات قصصية عدة، ويمكن تلخيص الفكرة الغالبة عليها بأنها الصراع بين حرية الفرد والأبوة الاجتماعية والسياسية في الجزائر الحديثة، وتتسم أعماله الأخيرة أيضًا بميل متزايد إلى التجريب فيما يخص أسلوب السرد.

ويزداد الإحساس بالانشغال بوضع الجزائر المعاصرة وإرث الصراع ضد الفرنسيين بالاهتمام بروايات وطار، بدءًا برواية «اللان»، وهي مثل



معظم الروايات التونسية لتلك الحقبة، التي من الواضح أنها تنتمي في بعض الجوانب إلى «رواية المقاومة»، على الرغم من أنها تتميز عن كثير من هذه النوعية بالبعد الإنساني الذي يميز العمل. وجميع أعمال وطار اللاحقة مثلها ذات صلة سواء مباشرة أو غير مباشرة بتطور المجتمع الذي ينتمي إليه، على الرغم من أن الحرفة الفنية عمومًا متطورة بشكل كافٍ لتفادي أي شعور بالابتذال. وتبين رواياته اللاحقة التي تشمل «الهوات والقصر» (1980م) و«تجربة في العشق»⁵ (1989م) استخدامًا قويًا متزايدًا للرمزية. وحالة راشد بودجراد، أكثر المحاربين ضد المعتقدات التقليدية من بين الكتاب الجزائريين، تمثل ربما أكثر الأمثلة اهتمامًا باستمرار المعاناة التي تسكن الكتاب الجزائريين والمغاربة الذين يتأرجحون بين دافع «وطني» للكتابة بالعربية والجادبية الواضحة للكتابة بالفرنسية، مع الاحتمالية الكبيرة بتحقيق مبيعات أوسع خاصة في فرنسا، حيث حصل بعض كتاب شمال إفريقيا على قدر كبير من الشعبية. وأعمال راشد بودجراد الأولى تشمل La Repudiation (1969) وInsolation (1970) وLes 1001 annes de La nos-talgie (1979م) وغيرها، كتبها بالفرنسية⁽⁶⁰⁾ ولكن عام 1982م أعلن أنه سيتحول إلى الكتابة باللغة العربية. وظهرت سلسلة من الروايات من ضمنها «التفكك» (1985م)، و«المرات» 1984م و«ليليات امرأة عريقة» (1985م) و«معركة الزقاق» (1986م) و«فوضى الأشياء» (1991م). وترجمت الروايات بسرعة إلى الفرنسية، حتى إن ذلك دفع بعض النقاد إلى أن يتساءل عما إذا كان «تحول» الكاتب إلى الكتابة باللغة العربية كان تحولاً حقيقياً.

ويمكن أن نذكر عددًا من الكتاب المميزين في المغرب الذين برزوا خلال الحقبة محل الدراسة، ومنهم الناقد الروائي محمد براءة

(1938 - 1935 م)، وهو صاحب أسلوب نثري من الطراز الأول، ومحمد زفزاف (1942-2001 م)، وعرف من خلال قصصه القصيرة، والروائي وكاتب القصة القصيرة محمد شكري (1935 - 1935 م)، وابن سليم همش (1947 - 1947 م). والاسمان الأخيران من هؤلاء يمثلان دراسة ممتعة للمقارنة، فهما بعكس الأكاديمي همش الذي جمع بين الكتابة الروائية والعمل الأكاديمي، ومحمد شكري الذي بقي أمياً حتى سن التاسعة عشرة، ووجد صعوبة في البداية في تقبل أعماله، وكثير منها تمتد جذورها في البيئة «المنحطة» التي تربى فيها، إضافة إلى قصصه القصيرة المجموعة في كتاب «مجنون الورد» (1979 م) وكتب أخرى. وهو معروف بكتابين من جنس السيرة الذاتية؛ الأول ظهر في الحقيقة أولاً في نسخة إنجليزية معدلة قبل أن يتم نشره باللغة العربية: «الخبز الحاف» (1979 م) و«الشرطان» (1994 م)⁽⁶¹⁾. وبالمقارنة، فإن أعمال همش تميل إلى أن تتكون في البيئة التاريخية التي يهتم بها بوصفه أكاديمياً: «مجنون الحكم» (1989 م) تقع في حقبة القرن العاشر أيام حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، في حين «العلامة» (1997 م) تتحدث عن الفيلسوف العربي والمؤرخ الشهير ابن خلدون (الذي نشر عنه همش دراسة أكاديمية)⁽⁶²⁾. ويمكن رؤية تأثير أسلوب الغيطاني في تداخل النصوص التي استخدمها في «الزيني بركات» في استخدام همش للعرب المؤرخين من القرون الوسطى في هذا السياق.

الختامة :

والحديث السابق هو حتماً دراسة مركزة، ولا تعطي أكثر من انطباع عن بعض أهم التطورات التي اتسم بها الأدب المتخيل أو الروائي العربي منذ سنة «الحد الفاصل» 1967 م. وأيضاً اختيار الكتاب والأعمال كان لا بد أن



يكون انتقائياً. وبلا شك هناك آخرون سيعتقدون أنه كان يجب علي أن أضيف كتاباً أكثر، لكن محاولة إضافة كل شيء وكل كاتب سوف يعرض الكتاب إلى مزلق إنتاج قائمة من الأسماء لا أكثر. وتركيزي في الجزء الأخير من هذه الدراسة على الرواية أكثر مما هو على القصة القصيرة؛ لأنه يبدو لي أن معظم التطورات المهمة حدثت في حقل الرواية في الحقبة محل الدراسة. ولكن هذه الطريقة مقدمة إلى عدد من كتاب القصة القصيرة الموهوبين والمهمين الذين قد همشوا نوعاً ما، وأكثر الأمثلة وضوحاً هو ربما الكاتب السوري زكريا تامر، الذي تمثل قصصه السريالية مساهمة فريدة في تطور هذا الجنس الكتابي. وتعليقاً عاماً، يبقى بالطبع صحيحاً أن معظم الروائيين العرب كتبوا قصصاً قصيرة (علمًا بأن العكس ليس دائماً صحيحاً)، وإن نشر القصص القصيرة أسهل، وربما تقرأ بشكل أوسع في العالم العربي، لأن الصفحة الأدبية والملحق الأدبي اللذين أديا دوراً مهماً في المراحل الأولى من تطور الأدب العربي الحديث لا يزالان يؤديان دوراً واضحاً حتى اليوم. وأعلن الناقد المصري جابر عصفور حديثاً «أن هذا زمن الرواية⁽⁶³⁾»، وأجد أنه من الصعب الاختلاف معه في ضوء العدد الكبير الواسع وتنوع الموهبة الإبداعية الواضحة في جميع العالم العربي في هذا الحقل (الذي أأمل أن أكون قد أعطيت بعض الانطباع عنه عالمياً).



ملاحظات

1 - في بعض الأحيان اقتصر المصطلح على الكتاب الذين نشروا في جالري 68 ولكن هذا الفرق فقد أهميته بمرور الزمن.

- 2 Translated into English as *Rama and the Dragon* by Ferial Ghazoul and John Verlenden, Cairo and New York, 2002.
- 3 English translations respectively as *City of Saffron*, by Frances Liardet (1989), *Girls of Alexandria*, by Frances Liardet (1993) and *Stones of Bobello*, by Paul Starkey (2005).
- 4 *Tilka al-Rā'iha*, p. 36: English translation by Denys Johnson-Davies, *The Smell of It*, London, 1971, p. 17.
- 5 Introduction to *Tilka al-Rā'iha*, Casablanca, 1986 edn, p. 6. On Ḥaqqī, see above, pp. 111-12.
- 6 On censorship generally, see Marina Stagh, *The Limits of Freedom of Speech*.
- 7 An order that can be interpreted in one of two ways: either, literally, 'to end one's own life', or perhaps, according to an Egyptian colloquial idiom, 'to brood in solitude'. See El-Said Badawi and Martin Hinds, *A Dictionary of Egyptian Colloquial Arabic*, Cairo, 1986, s.v.
- 8 'Self' in Arabic, but also containing a reference to the mythical princess Dhāt al-Himma.
- 9 As indeed does *Najmat Aghustus*, see above.
- 10 English translations of *al-Lajna* and *Dhāt* are available as *The Committee*, tr. St German and Constable, 2002, and *Zaat*, tr. A. Calderbank, 2001.
- 11 English translation as *News from the Meneisi Farm* by M.-T. F. Abdel-Messih, Cairo, 1987.
- 12 English translation as *War in the Land of Egypt* by L. Kenny, O. Kenny and C. Tingley, London 1986.
- 13 On the outskirts of Cairo.
- 14 On al-Qa'īd generally, see Paul Starkey, 'From the City of the Dead to Liberation Square', *Journal of Arabic Literature* 25 (1993), pp. 2-74.
- 15 To use Ed de Moor's term: see *EAL*, I, pp. 386-7, s.v. Ibrāhīm, Ṣun' Allāh.
- 16 English translation as *Zayni Barakat* by Farouk Abdel Wahab, London, 1988.
- 17 For a detailed study, see S. Mehrez, 'Hypertext as Bricolage', unpublished PhD dissertation, University of California, Los Angeles, 1985.
- 18 English translation by Peter O'Daniel as *Incidents in Zafrani Alley*, Cairo, 1986.
- 19 Cf. Ṣun' Allāh Ibrāhīm's *Dhāt* (for which, see above) for a similar technique.
- 20 English translation as *The Seven Days of Man*, by Joseph N. Bell, Cairo, 1990. For a useful discussion of 'Abd al-Ḥakīm Qāsim, see H. Kilpatrick, 'Abd al-Ḥakīm Qāsim and the search for liberation', *JAL* 26 (1995), pp. 50-66.

21 - انظر ص 188.

- 22 English translation, together with another novella, *Turaf min khabar al-ākhirā* ('Good News from the afterlife') by Peter Theroux as *Rites of Assent*, Philadelphia, 1995.
23 English translation as *Aunt Safiyya and the Monastery* by Barbara Romaine, Berkeley, 1996.

24 - انظر ص 212-213.

- 25 English translation as *Memoirs from the Women's Prison* by Marilyn Booth, Berkeley, 1986. A large number of al-Sa'dāwī's other works have also been translated into English and other European languages, considerably contributing to her international reputation. For translations into English, including several made by her husband, Sherif Hetata, see Altoma, *Modern Arabic Literature in Translation*, p. 96. For a study of al-Sa'dāwī, see Fadwa Malti-Douglas, *Men, Women and God(s): Nawāl El Saadāwī and Arab Feminist Poetics*, Berkeley, 1995.
26 Translated into English as *Woman at Point Zero* by Sherif Hetata, London, 1990, and *Two Women in One* by Osman Nusairi and Jana Gough, London, 1986.
27 Margot Badran and Miriam Cooke (eds), *Opening the Gates: A Century of Arab Feminist Writing*, Bloomington and Indianapolis, 1990.
28 *War's Other Voices: Women Writers on the Lebanese Civil War*, Cambridge, 1987.
29 Miriam Cooke, *War's Other Voices*, p. 5. I have slightly modified Cooke's spelling of one or two names.
30 English translation as *Beirut '75* by Nancy N. Roberts, Fayetteville, 1995. For a complete list of translations of al-Sammān's works, see Altoma, *Modern Arabic Literature in Translation*.
31 Quoted in Cooke, M., *War's Other Voices*, p. 6.
32 English translations of the three novels referred to are available respectively as *The Story of Zahra*, tr. Peter Ford, London, 1986; *Beirut Blues*, tr. Catherine Cobham, London, 1995; and *Only in London*, tr. Catherine Cobham, London, 2003. For other translations, see Altoma, *Modern Arabic Literature in Translation*.
33 English translation as *Flight Against Time* by Issa J. Boullata, Charlottetown, 1987.
34 Respectively '*Aṣāfir al-fajrī* (1968) and *Khatt al-af'ā* (1970), and *Qal' at al-Uṣṭā* (1979) and *Jisr al-ḥajar* (1982).
35 English translation as *Dear Mr Kawabata* by Paul Starkey, London, 1999. For a discussion, see Paul Starkey, 'Crisis and Modernity in Rashid al-Da'if's *Dear Mr Kawabata*: an essay in narrative disorder', in *Crisis and Memory: The Representation of Space in Modern Levantine Narrative*, ed. Ken Seigneurie, Wiesbaden, 2003, pp. 115-32.
36 Margaret Drabble, Foreword to *Dear Mr Kawabata* (cf. above, note 35), pp. vii-ix.
37 English translation as *Passage to Dusk*, by Nirvana Tanoukhi, Austin, Texas, 2001.
38 English translation as *This Side of Innocence*, by Paula Haydar, New York/Northampton, 2001.
39 Tel Aviv, 1986. English translation as *Arabesques* by Vivian Eden, New York, 1989.
40 English translation as *The Secret Life of Saeed, the Ill-Fated Pessimist* by Salma Khadra Jayyusi and Trevor LeGassick, London and New York, 1985.

41 - انظر ص 27.

- 42 For a useful discussion, see Stefan G. Meyer, *The Experimental Arabic Novel: Post-colonial Literary Modernism in the Levant*, New York: SUNY Press, 2001, pp. 61–8.
 43 Ibid., 100–6, for a discussion of this work, including the significance of the term *khurāfiya*.
 44 Ibid., p 90.

45 – انظر ص 174-176.

- 46 Quoted in Donohue and Tramontini, *Crosshatching in Global Culture*, I, p. 221.
 47 English translation by Catherine Cobham as *The Long Way Back*, Cairo: AUC Press, 2002.
 48 London, 1988.
 49 Aspects of the contemporary literature of some Gulf states have been extensively studied by the Polish academic Barbara Michalak-Pikulska in her books *Modern Poetry and Prose of Oman, 1975–2000*, Kraków, 2002, and *The Contemporary Kuwaiti Short Story in Peace Time and War, 1920–1995*, Kraków, 1998.
 50 For a discussion, see Meyer, *The Experimental Arabic Novel*, pp. 72–87.
 51 In the words of Muḥammad Siddiq, *ibid.*, p. 76.
 52 English translations as *Adama* by Robin Bray, London, 2002, and *Shumaisi* by Paul Starkey, London, 2005, respectively.
 53 Radio interview with Mariella Frostrup, quoted on the dust-jacket of the English translation of *Shumaisi*.
 54 English version published as *Gardens of the Night*, tr. R. Harris, Amin al-'Ayonti and Suraya 'Allam, London, 1991.

55 – مسرحياته انظر الفصل العاشر ص 219-220.

- 56 The novel was serialised in *al-'Amal* in 1969 and republished in book form in 1989.
 57 Al-'Arūsī al-Maṭwī, Muḥammad, *Ḥalīma*, Tunis, 8th edn, 1980, p. 116.
 58 On this and related themes, see Paul Starkey, 'Some Aspects of the French Colonial Legacy in the Tunisian Novel of the 1960s and 1970s', *Oriente Moderno*, XVI (LXXVII), n.s. (1997), pp. 151–61. This volume of *Oriente Moderno*, on the theme of 'The Arabic Literatures of the Maghreb: Tradition Revisited or Response to Cultural Hegemony?' contains a valuable collection of articles on modern North African literature, and is a useful starting point for anyone interested in conducting further research on the subject.

59 – انظر الفصل السابق ص 224.

- 60 For a full list, see *EAL*, s.v. 'Boudjedra, Rachid'.
 61 English translations available respectively as *For Bread Alone*, tr. Paul Bowles, London, 1973; and *Streetwise*, tr. E. Emery, London, 1994.
 62 English translations of *Majnūn al-ḥukm* and *al-'Allāma* are available respectively as *The Theocrat*, tr. Roger Allen, Cairo, 2005 and *The Polymath*, tr. Roger Allen, Cairo, 2004.
 63 Jābir 'Uṣfūr, *Zaman al-Riwāya*, Beirut, 1999.

